

التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية

في العهد العثماني

الدكتور حنيفي هلايلي

جامعة سيدي بلعباس

أجمع معظم الذين كتبوا عن الجزائر في العهد العثماني - مثل القناصل والرحالة وبعض المؤرخين - أنها كانت "جمهورية عسكرية"، ذلك أن الجيش كان يشكل القاعدة الأساسية التي بني عليها نظام الإيالة. وتجدر الإشارة أن هناك عاملين صبغا الإيالة بتلك الصبغة العسكرية، يتمثل أولها في الظروف الحرجة التي أسست فيها الإيالة، ويتمثل الثاني في كونها امتداد للدولة العثمانية التي أمدت الإيالة بخصائصها ومنها خاصيتها العسكرية². وقد حافظت الجزائر على صبغتها العسكرية حتى تكون على استعداد دائم لمواجهة الهجمات الأوروبية. والمتكررة كان الجيش في الجزائر، مثل الجيش في الدولة العثمانية، قائما على قاعدتين هما: الجيش البري والجيش البحري، فالجيش البري كان يتمثل في دعامتين: الجيش النظامي المتمثل في فرق الأوجاق وفي مقدمتها الجيش الإنكشاري والجيش الاحتياطي غير النظامي، والمتمثل في قبائل المخزن والكراغلة وبعض الفرق الأهلية. بينما البحرية كانت تشكل جانبا هاما ومميزا في قوة الجزائر العسكرية.

وفيما يتعلق بمصطلح "أوجاق" الذي كان استعماله شائعا في الدولة العثمانية، حيث كان يستعمل في اسطامبول بمعنى الجيش النظامي وكذلك بمعنى الفرقة العسكرية الكبيرة في نفس

1- هناك كتابات كثيرة أوردت مصطلح "الجمهورية العسكرية"، نذكر على سبيل المثال: - وليام شالر، مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر، ترجمة: اسماعيل العربي، الجزائر: 1982، ص 42

- ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830) ط2، الجزائر، 1985 ص 22

2- حول الطابع العسكري للدولة العثمانية، راجع: عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة 1980، ج 1، ص 49

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي
الجيش.¹ أما في الجزائر فقد كان لمصطلح "أوجاق" ثلاثة مفاهيم، فكان يستعمل من جهة بمعنى "أورته" أي وحدة عسكرية من وحدات الجيش الانكشاري، ويستعمل من جهة ثانية بمعنى "الجيش النظامي"، ويستعمل أحيانا للدلالة على الإيالة نفسها.²

لقد كان جيش الجزائر النظامي يتشكل على نفس النمط العثماني، ولم يكن يوجد منه سوى فرقتين هما: الفرقة الانكشارية³ و فرقة الطوبجية⁴. أما القسم الثاني فيتكون من فرقة سباه (أي الفرسان). أما الجيش البحري فيتكون من الرياس وعماده هو الأسطول.⁵

أولاً: الجيش البحري: لقد أدى استقرار الأتراك -العثمانيين في مدينة الجزائر إلى تحويل نشاطات الجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط إلى مؤسسة. وقد تحكمت طائفة الرياس ابتداء من تواجدها في دار السلطان بطريقة شديدة الانتظام من حيث التوظيف التنظيم والتمويل والعمليات الحربية. وقد أصبحت الطريقة الجزائرية بدورها مثالا لا يحتذى به بالنسبة لرجال الطائفة في تونس وطرابلس وكذلك جمهورية أبي رقراق⁶. لم يكن اهتمام الجزائر بالجيش البري

1 -J. Deny, « Les registre de soldes des janissaires conservés à la B.N.A ».In R.A , n°61, 1920, PP.40-41.

2 -ibid, P.36

3- باللغة التركية "ينيتشري" معناها العسكر الجديد، راجع: خليفة، حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830م، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإسكندرية، 1988م، ص 93

4- فرقة الطوبجية بالتركية (أو باغي) أي رجال المدفعية.

5- أول من أنشأ نواة الأسطول الحربي العثماني، هو السلطان مراد الثاني (1421-1444م) ليطرده البنادقة من المناطق الساحلية للبلقان، وازدادت أهمية الأسطول في عهد السلطانين سليم الأول (1512-1520م) وسليمان القانوني (1520-1566م). بخصوص هذا الموضوع راجع: محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، ص 81-84.

6- شكل قسم من المهاجرين الأندلسيين المطرودين من إسبانيا، جمهورية عند مصب نهر أبي رقراق، وكانوا حركة الجهاد البحري، وفي سنة 1627 استقلوا عن الحكم السعدي بفاس وكونوا جمهوريات صغيرة في كل من القصبة والرباط وسلا. للمزيد من التفاصيل يرجى العودة إلى: محمد، رزوق، الأندلسيون وهجراهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17م، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1991، ص 112-117

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي
أكثر من اهتمامها بالأسطول الذي كان يشكل محورا أساسيا في قوتها العسكرية وجعل منها
قوة بحرية من الطراز الأول. ولقد كان أمرا طبيعيا لصد هجمات الأساطيل الأوروبية المتكررة
من جهة¹، وخدمة الاستراتيجية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى. وتعود قوة
البحرية الجزائرية في العهد العثماني إلى عدة أسباب منها:

أ - الموقع الجغرافي الممتاز للجزائر وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا والمتحكمة في
الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد 1200 كلم. وهو الأمر الذي جعلها طيلة الفترة
العثمانية محطة أنظار وصراع بين دول ضفتي شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط، حتى أطلق
على مدينة الجزائر اسم "المحرسة والمنصورة ودار الجهاد"².

ب - الظروف الدولية والمتمثلة في التنافس بين الدول الأوروبية وما أنجز عن ذلك من
صراع وتوترات، مثل العداوة بين فرانسوا الأول ملك فرنسا والإمبراطور شارل الخامس
(1516-1556م) عاهل إسبانيا وجرمانيا، وكذلك التنافس الهولندي -الفرنسي- الإنجليزي،
فيما بعد على اكتساب المستعمرات، والسيطرة على التجارة العالمية أثناء القرنين السابع عشر
والثامن عشر الميلاديين.

1- من أهم الحملات البحرية الأوروبية على الجزائر: - حملة شارلكان على مدينة الجزائر 1541 - حملة
البابا بيوس الرابع على مدينة الجزائر 1560 - حملة صليبية بقيادة جان دوريا على مدينة الجزائر 1601 - حملة
فرنسية بقيادة دوبوفور على مدينة الجزائر 1621 - حملة فرسان مالطة على مدينة الجزائر 1647 حملة دغاركية
على مدينة الجزائر 1770 - الحملة الإسبانية بقيادة أوربي على مدينة الجزائر 1775 - الحملة الإنجليزية -
الهولندية بقيادة اللورد أكسموت على مدينة الجزائر 1816 - الحملة الانجليزية بقيادة الأميرال هاري نبال على
مدينة الجزائر 1824 - الحصار الفرنسي على السواحل الجزائرية بقيادة كولي (1827-1830م). للتوسع يمكن
العودة إلى: يحيى، بوعزير، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500-1830م)، الجزائر: ديوان
المطبوعات الجامعية، 1980م، ص 206

2 Moulay, Belhamissi, Marine et marins d'Alger à l'époque ottomane (1518-1830),
Thèse de Doctorat d'état, Université de Bordeaux III, Mars, 1986, T2, P.270.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي

ج- تجنيد الأوروبيين في البحرية الجزائرية والمعروفون بالأعلاج (Rénégats) وهذا ما سمح لكثير منهم بتبوء منزلة مرموقة ومكانة عالية بعد اعتناقهم الإسلام وارتباطهم بالجزائر رغم أصولهم المختلفة (إغريق، إسبان، مايورقيون، نابوليتانيون، كرسكيون، سردانيون، فرنسيون، إنكليز، هولنديون). وقد ذكر هايدو أن الأعلاج كانوا يشكلون حوالي ثلثي الشخصيات القيادية في الأسطول الجزائري. فضمن ستة وثلاثين رئيسا يقودون السفن بأكثر من خمسة عشر مجدافا، كان اثنان وعشرون منهم من الأعلاج¹.

د- الإيمان بحق الدفاع عن دار الإسلام بعد انهيار الأندلس وحلول الأسبان بالسواحل، وقد كان في طليعة من تطوع لركوب البحر لمواجهة سفن النصارى أهالي المدن الساحلية وعلى رأسهم جماعة الأندلسيين، ومن التحق بهم من الأعلاج الذين اعتنقوا الإسلام وكانوا قبل ذلك يعانون الجور في بلدانهم من جراء النظام الإقطاعي والاستبداد الملكي السائد آنذاك بالبلاد الأوروبية. وتنوه المصادر التاريخية إلى الدور التاريخي الذي لعبه المهاجرين الأندلسيين في المرحلة الأولى من تأسيس إيالة الجزائر (1516 - 1541م)، حيث ساهموا في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الغارات الإسبانية المتكررة. وقد اشتهر الأندلسيون في أعمال القرصنة والنخاسة ومبادلة الأسرى والمشاركة الفعالة في تمويل مشاريع الجهاد البحري.² كما عمل الموريسكيون على تنشيط حركة الجهاد البحري والمهجوم المتواصل على السواحل الإسبانية بواسطة الأسطول الجزائري، وبفضل معرفتهم الجيدة للغة الإسبانية وللأماكن الجغرافية والطرق البحرية. وترجع المساهمة الحقيقية لعناصر الجالية الأندلسية في ميدان الجهاد البحري إلى مجالات تجهيز السفن بالمعدات³. استخدام البحارة الجزائريون الأساليب الحربية الملائمة مثل الالتحاق إلى الغارات

1- جون (ب) وولف، الجزائر وأوروبا: 1500-1830، (ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله) الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتابات 1986 ص 183.

2 -Laugier, de Tassy, Histoire du royaume d'Alger, Paris, Editions. P.69.

3- حنفي، هلايلي، النظام الحربي للجزائر في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2004، ص 155-156.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي
المفاجئة واستعمال بنادق البارود السريعة الطلقات والمدافع الخفيفة في هجوماتهم، وكذلك امتلاكهم السفن المتطورة عصرئذ. والقادرة على الإبحار في أعالي البحار، وهي سفن شراعية حربية، مثل السفن المعروفة بالكرفات والشالوب والقلبوبة والفرقاطة والشباك والبلاكر وبريك¹. مهارة البحارة الجزائريين وكفاءتهم الحربية ومقدرتهم القتالية العالية التي مكنتهم من تحقيق انتصارات حاسمة، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال، الأخوين بربروسة (عروج وخير الدين)، ودرغوث رايس وصالح رايس، وإيدين رايس وآرناؤوط مامي، وعلي علي وعلي بتشين وحسن فيترانو، وميزوموتو، وعلي البوزريعي والرايس حميدو وبكير باشا والرايس عمر، والرايس مصطفى والحاج موسى والحاج مبارك وغيرهم. وبفضل هؤلاء الرياس أضحت البحرية الجزائرية مدرسة رائدة للبحرية الإسلامية في العهد العثماني².

لقد تميزت الظروف الدولية التي عرفت فيها البحرية الجزائرية نشاطا ملحوظا بتزايد قوة الدول الأوروبية، وساعد الجهاد البحري الذي تزعمته الجزائر منذ القرن السادس عشر على توطيد صفوف المسلمين بالسواحل، فأصبحوا بمثابة كتلة حضارية واحدة تحت راية الدولة العثمانية. كما سمح هذا الجهاد البحري بمحاصرة وتصفية الجيوب الإسبانية، وبالتالي وضع حدا للتوسع المسيحي بشمال إفريقيا. وقد نجحت الجزائر بفضل دور البحرية في رد العدوان، واكتسبت مكانة خاصة جعلتها بمثابة القلعة الأمامية في مواجهة المد الصليبي الذي يهدد سواحل المغرب فاستحقت كما قلنا سابقا تسمية "دار الجهاد" و"قلعة الإسلام".

1-رياس البحر: كانت البحرية الجزائرية في العهد العثماني تتغذى عناصرها من ثلاثة مصادر أساسية وهي: المرتزقة المسيحيون وهم الأعلاج، والمسلمون من مناطق الإمبراطورية العثمانية ثم الأقلية وهم الجزائريون من سكان الإيالة. ومعظم أمراء البحر ينحدرون من المصدر

1- إن أنواع السفن وأسمائها وعدد مدافعها وأسماء رياسها، كانت تشكل منها قطع الأسطول البحري الجزائري خلال العهد العثماني.

2- حول نشاط رياس البحر وأهميتهم في الجزائر خلال الفترة العثمانية أنظر:

M. Belhamissi, op.cit, T1, PP.195-216.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي
الأول، فمن أشهر رياس القرن السادس عشر، عروج وخير الدين بربروسة، درغوث رياس،
وعلي علي، هؤلاء الرجال هم الذين أنشئوا إيلات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، وأعطوها
أشكالها السياسية والعسكرية¹.

وعلى أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت بالمسيحيين إلى اختيار مدينة الجزائر ملاذا للعيش،
واعتناق الإسلام، ومن ثم ممارسة الجهاد البحري والانخراط في صفوف البحرية الجزائرية. هل
كان هذا بدافع تأثيرات العقيدة الإسلامية؟ أم لأزمة العقيدة عند هؤلاء؟ أم لمصلحة ومنفعة
ذاتية؟

وقد كان هؤلاء يشكلون في مدينة الجزائر مجتمعا خليطا كزومبوليتي، ولكنهم متعاونين من
أجل هدف ومصلحة واحدة، فنجد منهم عناصر تركية الأصل، فهم أكثر رعايا الدولة
العثمانية، بالإضافة إلى الكراغلة والأندلسيين وبعض أهالي الجزائر والأعلاج الذين اعتنقوا
الإسلام. وقد تضاربت الإحصائيات حول أعداد الرياس في مدينة الجزائر، ففي تقرير لجاسوس
إسباني يؤكد أنه في سنة 1564م كان بالمدينة حوالي ستة آلاف قرصانا، إلا أن الأب دان
(DAN) فيجزم بوجود ثمانية آلاف سنة 1632م². وفي عهد الداوي مصطفى باشا (1798 -
1805م)، لوحظ تجنيد الأعلاج في البحرية ودخولهم بالملئات³.

ومن أشهر الرياس دون شك، علي بتشين، وهو من أصل إيطالي، اسمه الحقيقي بتشينو
(Piccinio). وما بين سنوات 1641 و1641 أصبح زعيما للطائفة بدون منازع، والرجل القوي
في مدينة الجزائر، حيث استطاع من التغلب على الباشا المرسل من طرف الباب العالي بفضل
ثروته الضخمة والمتمثلة في الباشا المرسل من طرف الباب العالي بفضل ثروته الضخمة والمتمثلة
في ملكيته لقصرين فاخرين بمدينة الجزائر وعدة آلاف من الأرقاء، والجواهر، وعشرات السفن،

1- جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 200.

2 -Père, DAN, Histoires de Barbarie et de ses corsaires des royaumes des villes
d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli, 2ème édition, Paris, P.Rocdet, 1637, PP.313-314.

3 -Mouloud, Gaïd, l'Algérie sous les Turcs, Alger éd Mimouni, 2ed, Alger, 1991,
PP.167-170.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي
وأضحت سلطة الرياس والإنكشارية والكراغلة بيده. كما كان له حرسه الخاص وهو مؤلفا من المشاة والخيالة . وخلال الثلاثينات من القرن السابع عشر كان القساوسة العاملون على فديه الأسري يتعاملون معه، باعتباره الحاكم الحقيقي للمدينة. "ولعل موته المبكرة في جويلية 1645" تدل على أنه مات مسموما بأمر من حاكم الجزائر¹.

وقد وصل إلى المراتب العليا في أسطول الجزائر قليل جدًا من الجزائريين فالرايس حميدو، الذي قاد الأسطول خلال الحروب النابوليونية (1798 - 1814م)، كان حالة خاصة من حيث كونه قبائليا دون وجود قطرة دم تركية في عروقه. لقد كان ابنا لحياط، وعرف بأنه كان يبحر على متن السفينة كخادم في غرفة الضباط وأخيرا رايس وهذا قبل تسلمه لقيادة الأسطول².

ومن المعروف أن شجاعة الرايس حميدو وهو يقود المعارك البحرية والمنافع التي يجلبها للخزينة، جعلت الداوي حسن يكلفه بقيادة سفينة حربية مزودة بـ 12 مدفعا، وتحمل على متنها ستين بحارا. لكن كثرة الحساد في مدينة الجزائر من نشاط حميدو، جعلت الداوي أحمد باشا (1805 - 1808م)، يعمل على نفيه إلى بلاد الشام. ومع مجيء الداوي علي الغسال (1808 - 1809م)، أمر بإحضاره وتكريمه مع تكليفه من جديد بإعادة تنظيم الأسطول الجزائري، حيث شارك في حروب البحرية الجزائرية ضد الاعتداءات التونسية والمغربية، كما أصبحت التجارة الأمريكية غنائمه السمينية مما جعل الولايات المتحدة تضطر إلى دفع الإتاوة للجزائر مقابل سلامة سفنها³. وكان الإجراء العادي للبحار أن يختاره مالكو السفن التي

1- جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 202.

2- حول حياة الرايس حميدو بن علي، أنظر:

A.Devoulx, le Raïs Hamidou, Alger, A jourdan, 1859

3- الشريف، الزهار، مذكرات. تحقيق أحمد توفيق المدني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1980، ص 106-103.

Tachrifat, Recueil de notices historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Pub, Par Albert Devoulx, Alger 1852, P13. وأيضا:

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي
يستعملونها في معاركهم، ولكن قبل أن يعينه كقبطان كان عليه أن يجتاز بنجاح امتحانا يجريه عليه ديوان الرياس¹.

ومن الضروري. بمكان أنه كان عليه أن يعرف بعض القواعد النظرية لفن الملاحة. كمعرفة حركة النجوم، وقراءة البوصلة واتجاهات الرياح والتيارات البحرية وفهم الخرائط الملاحية، أو الاهتداء بالجبال عند الحاجة². ويذكر القنصل الفرنسي روني لومير (René Lemaire)، في رسالة وجهها إلى السلطات الفرنسية، بأن مسؤول البحرية الجزائرية طلب منه خرائط بحرية للعالم وأربعة أخرى خاصة بمواقع البحر الأبيض المتوسط، وكل ما يتعلق بالأمر الملاحية في رأس الرجاء الصالح وبحر المانش وسواحل إنجلترا³. والجدير بالذكر أن البحرية كانت مدرسة قائمة بذاتها إذ اتصف رياستها باليقظة والتأقلم الجماعي مع السفينة، ومعرفتهم الجيدة بأمر البحر والسلاح.

والدليل على أهمية رجال البحر، ما نقله لنا السفير المغربي التمقروتي أثناء إقامته بمدينة الجزائر سنة 1584⁴. لقد كلف هذا السفير بمهمة إلى اسطامبول من طرف السلطان أحمد المنصور. وقد لاحظ أثناء زيارته للمدينة، قوة النظام الدفاعي لها، وكثرة المهندسين بالإضافة إلى ضخامة الأسطول الحربي بالميناء، إذ يقول: "يتصف رياس الجزائر بالشجاعة واليقظة ومعرفتهم الجيدة

1- كان يترأسه أميرال الذي يعد من أقدم العناصر في طائفة الرياس.

والملاحظ أن القبطانات والبحارة كانوا يعيشون في الحي الغربي من مدينة الجزائر على امتداد الميناء ومنطقة المستودعات تحت القصة، وهناك كانوا يستطيعون حماية أنفسهم ضد المذابح المفاجئة من طرف مناهضيهم من رجال الأوجاق.

2- الشريف، الزهار، المصدر السابق، ص 117.

3 -M.Belhamissi, op.cit, T1, P.163.

4- أبو الحسن علي التمقروتي عالم مغربي، عمل سفيرا في البلاط السعدي خلال عهد أحمد المنصور الذهبي (1579-1603م)، وله رحلة بعنوان النفحة المسكية في السفارة التركية، ويتحدث فيها عن إقامته بالجزائر، وتوفي في سنة 1003هـ/1594-1595م. (152) مولاي، بلحميسي، الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982، ص. 60-61.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي
بأمور البحر، إنهم متفوقون بكثير على رياس البحر في اسطامبول، وهم بذلك يرهبون الأعداء
أثناء المواجهات البحرية، أكثر من رياس القسطنطينية الذين تنقصهم التجربة والشكيمة"¹.
وقد كان للطائفة كأى مؤسسة بحرية أخرى زمتد رتب وطريقة للترقية تندرج إلى رتب
داخل السفينة ومسؤوليات في القيادة البحرية العامة. كان هناك طاقم كبير من الموظفين تحت
قيادة الرايس على ظهر السفينة. فهناك باش رايس وهو مساعده الأول، وتنحصر مهامها في
توزيع المهام على البحارة والسهر على الانضباط داخل السفينة، خوجة وهو كاتب السفينة
ويعمل كمحاسب وموثق إذ يسجل مداخليل ومصاريف السفينة في دفتر خاص وبجرد الغنائم،
وباش جراح وهو طبيب يكفل بعلاج المرضى، ورايس الطريق وهو قبطان الغنائم بحيث أن كل
سفينة تضم عنصرين من هؤلاء، وتنحصر مهامها في السير الحسن لوصول الغنائم إلى مدينة
الجزائر، والإمام المكلف بتطبيق شعائر الإسلام وترتيل القرآن على البحارة، ورئيس الإنارة
البحرية التي ينظم الإشارات البحرية عند دخول السفينة الميناء، ورئيس المدفعيين ومساعديه
وهم المكلفين بالإشراف على المدافع، والممون الذي يقوم بتوزيع حصص الغذاء ويشرف على
حسن تنظيم الذخيرة². أما البحارة فهم العمود الفقري لطاقم السفينة. ويتقسم البحارة إلى
فوجين، الفوج البحري ويتمركز في مقدمة السفينة، والفوج الثاني في المؤخرة. ويتراوح عدد
البحارة من سفينة لأخرى، إذ تضم بعض الفرقاطات حوالي خمسمائة بحار، في حين عملت
الإيالة عند الضرورة تزويد ثكنات الميناء باحتياطي إضافي من البحارة يصل عددهم في حالة
الطوارئ إلى ثلاثة آلاف رجل³. و فيما يتعلق بإدارة البحرية الجزائرية فقد كان على رأسها
طاقم يتكون أساساً من:

1 -Devoulx.(A), « La marine de la régence d'Alger », in, R.A (N°13) 1869, P.388

2 -Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII ème présenté par joseph cuoq, Paris, sindhbad, 1983,P.150

3 -Venture de Paradis, « Alger au XVIIIe siècle », in, R.A, (N°40), 1896, P.277

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي

2- وكيل الحرج: كان يشغل منصب وزير البحرية، وقد تحول هذا المنصب منذ القرن السادس عشر من وظيفة المحتسب للمستودعات ومخازن الترسانة البحرية إلى أهم شخصية في البحرية الجزائرية. وكانت مهامه موزعة على مجالين رئيسيين، أولهما شؤون البحرية وثانيهما العلاقات الخارجية، فهي المجال الأول أصبحت الصناعة البحرية، والتسلح والغنائم، وصيانة الميناء. والصراعات بين الرياس والمتطوعين. وكل ما يتعلق بالتجارة الخارجية والنقل البحري كانت من اختصاصاته. ويعمل تحت جهاز إدارته اثني عشرة بلوكباشيا يسهرون على حراسة المخازن وتموينات الأسطول¹. ويتولى قيادة الأميرال وقبطانات الميناء وقبطانات الحملات والرياس. ويقدم لهم التعليمات كما أنه يقوم بدور المحامي لمصالحهم لدى الداى بخصوص المسائل البحرية. وبفضل البلوكباشيين الذين ينفذون أوامره، تمكن وكيل الحرج من تشديد قبضته على أقوى مؤسسة بحرية في الجزائر خلال العهد العثماني وهي "طائفة الرياس". وفي كثير من الأحيان تمكن وكيل الحرج من الارتقاء إلى منصب حاكم الإيالة أو خزناجي، ففي عهد الداى محمد بن عثمان، تقلد وكيل الحرج حسن منصب الدايلكية². وفي عهده دخل في صراع مع الخزناجي علي بورغول الذي تمكن من الفرار إلى طرابلس، فعين مكانه أحمد زمري قبطان باب الجهاد³. تشير تقارير القناصل الأوروبيين إلى قوة ومكانة وكيل الحرج في حكومة الجزائر، من خلال حادثة اغتيال الداى محمد بكير في 15 ديسمبر 1754م حيث وجهت أصابع الاتهام إلى كل المسؤولين باستثناء وكيل الحرج⁴.

في سنة 1756م، شاركت جمعية المفاوضين الفرنسيين المقيمين بمدينة الجزائر في اجتماع تعيين عمر رايس لمنصب وكيل الحرج، وقد عبر القنصل الفرنسي عن أهمية هذا المنصب لضمان

1- حكم في جويلية 1791 إلى غاية ماي 1798 .

2- الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 142.

3 -Venture de Paradis, « Alger au XVIIIe siècle » in, R.A (N°41), 1897, PP.73-76

4 -Devoulx (A), les Archives du consulat de France à Alger, Alger 1865, PP.72-73

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي
مصالح السفن الفرنسية بالجزائر. ولهذا كان لزاما عليهم تقديم الهدايا المعتبرة لوكيل الحرج¹.
وبما أن مقاليد البحرية وشؤون القرصنة كانت تحت تصرفات هذه الشخصية، فإن الأوروبيين
القاطنين بالجزائر كانوا دائما يحاولون كسب هذه الشخصية لحسابهم.

والملاحظ أن صلاحيات وكيل الحرج عرفت نموا متزايدا منذ أواخر القرن الثامن عشر، إذ
كانت من مهامه متابعة علاقات الجزائر مع الدول الأوروبية أي وزير الخارجية، ولقد أكدت
هذه الصلاحيات بالقرار الذي اتخذته الداى أحمد باشا (1805 - 1808م) عام 1807م بإلزام
القناصل الأوروبيين بالتعامل مباشرة مع وكيل الحرج مما أثار حفيظة بعض الدول الأوروبية،
لكن الحكومة الجزائرية تسكت بهذا القرار، ويبدو أنه كان يندرج ضمن عملية إصلاح الهياكل
التي قامت بها الدولة وقتذاك.

3- القبودان: تراجعت مهام الأميرال في البحرية الجزائرية بسبب قوة وكيل الحرج. وتشير
ملاحظات فالير (Valliere) أن الداى إبراهيم كوتشوك (1745-1748م) حاول في سنة
1746م أحياء رتبة القبودان التي كانت شاغرة منذ أمد بعيد، فقلدها لأحد كبار الرياس المحبوب
من طرف زملائه وأهالي المدينة. ومنذ 1753م ظلت مكانة الأميرال شاغرة إلا أن الداى محمد
بكير للمرة الثانية قلدها لأحد كبار الرياس الحاج نورلة. وحسب فالير فإن هذه المحاولة من
طرف الدايات كانت في حقيقة الأمر خلال إحياء هذا المنصب الهام في البحرية الجزائرية يرجع
بالدرجة الأولى إلى المشاكل والتراعات التي كان يتخبط فيها الداى، فحاول التخلص منها
بسبب مشاكل الحملات البحرية وحدث الصراع مع بعض الدول الأوروبية من جهة ومع
طائفة الرياس من جهة أخرى².

1 -Moulay, Belhamissi, op.cit, T1, P.225-226.

في عهد الداى إبراهيم كتشوك ومحمد بن بكير، حدثت ثورات الكراغلة والقبائل 1747-1748م، وثورات
الأوجاق.

2- روي لومير فنصل فرنسا بالجزائر ما بين 1690-1697م والرسالة التي صقل فيها أحداث المؤامرة مؤرخة
في 11 ديسمبر 1690م.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي

ويعد القبودان من أبرز ضباط البحرية الجزائرية، فهو القائد العام للأسطول عند خروجه إلى عرض البحر. وبقطع النظر عن المكانة التي كان يحتلها القبودان في سلك البحرية إلا أنه كثيرا ما كان يتعرض للمشاكل، ففي سنة 1690م سقط الأميرال قارة مصطفى ضحية المؤامرات التي كانت تحاك في قصر الداوي زمتند ونستشف معلومات هذا الحدث من خلال رواية القنصل الفرنسي لومير¹: "...سمع الداوي² بأن القبودان قارة مصطفى يفكر في تدبير مؤامرة لعزله من السلطة، فأرسل إليه بزورق يضم ثمانية رجال ألقوا القبض عليه وذهبوا به في الناحية الشرقية للميناء، وتردد الشائعات بأنه مات غرقا، وأخبار تقول بأنه أسر بسجون بجاية، لكن لا أحد يعلم صحة الخبر، والحقيقة أن الداوي عمل على مصادرة أملاكه وسفنه. وكم كانت فرحتي بهذه المحاكمة، لأنه كان عدوا لدودا لمصالح فرنسا، وبالرغم من هذا فإن هناك شخصية محتملة لتقلد منصب الأميرال وهي غير مرغوب لدينا، وسنعمل جاهدين على عدم بقائها في هذا المنصب وهذا بتأييد من الداوي نفسه..."³.

4- قائد المرسى: إنه قائد الميناء، وكانت وظيفته موجودة في البحرية العثمانية، وكان صاحبها يقوم بمهام المراقبة والتفتيش. وكان له في الجزائر سفينة خاصة يجوب بها المياه الإقليمية لمدينة الجزائر لتفقد شواطئها ومراقبة السفن التي تدخل الميناء أو تخرج منه والتعرف على هويتها وطبيعة مهامها⁴. ومن وظائفه الثانوية الاهتمام بالأخبار الدولية التي كان يتناقلها أصحاب السفن القادمين إلى الجزائر، واستلام الرسائل التي يحملونها إلى الباشا أو لأحد وزرائه. ونظرا لتعدد مهامه، فإن الباشا كان عادة ما يستقبله في دار الإمارة مرتين لتلقي تقاريره⁵.

1- (الداوي الحاج شعبان (1688-1695م).

2 -H.D. de, Grammont, « un épisode diplomatique à Alger au XVIIe siècle », in, R.A (N°26), 1882, P.130-138.

3 -Dr Shaw, voyage dans la Régence d'Alger. Traduction j. Maccarthy, Paris, Malier, 1830. P.173

4- الشريف، الزهار، المصدر السابق، ص 152-153.

5- خليفة، حماش، المرجع السابق، ص140.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي
كانت وظيفة قائد المرسى ذات أهمية كبيرة حتى أن عمر باشا (1815 - 1817م) أرسل صاحبها علي راييس عام 1231 هـ/1816م، إلى اسطامبول ليحمل تقريره عن أحداث الهجوم البريطاني على مدينة الجزائر، إلى السلطان محمود الثاني¹.

5- وارديان باشي: كان من أبرز الموظفين في البحرية الجزائرية، وهو يشرف على تنظيم الأعمال التي يقوم بها الخدم (أغلبهم أسرى أوروبيون) في ميناء، ويعين لكل رئيس سفينة العدد الذي هو في حاجة إليه للعمل على متن سفينته². كانت أبواب البحرية في الجزائر على غرار ما كان معمولاً به في اسطامبول، مفتوحة أمام الراغبين من أبناء الرعية، حتى أنه من بين ألف وخمسمائة بحار كانوا يمارسون عملهم في ميناء الجزائر عام 1235 هـ/1820م، كان ثلثهم من الرعية والباقي من الأوجاق، ومن بين تسع سفن خرجت للغزو في أول أكتوبر 1804م، كان رؤساء أكبر ثلاث سفن، والرايس حميدو، الرايس محمد. وكانت سفينة الأول منهم ذات 36 مدفعا، وسفينة الثاني ذات 46 مدفعا وسفينة الثالث ذات 44 مدفعا³.

ثانيا: الأسطول: عرف الأسطول البحري تطورا ملحوظا منذ القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، ثم بدأ يضعف مع نهاية القرن السابع عشر قبل أن يتلاشى نتيجة حملة أكسموت (1816م)، ويعاد تكوينه بصفة جزئية في السنوات التي سبقت الاحتلال الفرنسي. يشير صاحب كتاب الغزوات إلى نوع الفرقاطات والعشاريات والغليطات والجنان (السفن) التي يتكون منها الأسطول البحري الجزائري في القرن السادس عشر⁴.

1 - Venture de Paradis, Tunis..., op.cit, P.153

2- خليفة، حماش، المرجع السابق، ص 142.

3- مجهول كتاب غزوات عروج وخير الدين (تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر)، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1934، ص 48 و82.

4 - Haedo, Topographie et Histoire Générale D'Alger. Traduction Monnereau et A. Berbrugger, In R. A. n°14, 1871, P.51

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي

بينما يذكر هايدو الغليطات والفرقاطات والبركنتي¹ وهو يشبه القلعة مدفوعة بالمحاذيف التي استمر استعمالها في البحرية حتى نهاية القرن الثامن عشر، أما نهاية القرن السابع عشر فكانت سفن اليرتون والسفن المستديرة والمدفوعة بالشرع، والتي تم تطويرها بأوروبا منذ 1600. وقد عرفت الجزائر هذا النوع من السفن بفضل المهاجرين الأندلسيين الذين تم طردهم في عهد الملك الإسباني فليب الثالث سنة 1609م.²

وفي مستهل القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، تقدم لنا أرشيفات القنصلية الفرنسية قائمة كاملة عن أنواع السفن المستخدمة بالجزائر منذ 1737م وحتى 1830م، والمتمثلة في الشطيات والصنادل والشنيات ونصف الشنيات والأغربة والفرقاطات والغليوطات والشالويات والبولاكر³.

أما الشريف الزهار فقد ذكر لنا بعض أنواع السفن الجزائرية في العهد العثماني منها، النجور واللقشون والبلاندر⁴ والملاحظ أن معظم هذه السفن كانت تصنع في دار الصانع بالجزائر وشرشال وعنابة وجيجل، ومع حلول القرن التاسع عشر، توقفت جل المصانع باستثناء مصنع الجزائر⁵.

وبخصوص عمليات تسليح هذه السفن، فإن النصوص المعاصرة للقرن السادس عشر، تفيد بأن نوع الفرقاطات والشبيكات والغليوطات والبريكنتي، كانت مجهزة بستة عشرة مقاعد للتجديف⁶. ومنذ بداية القرن السابع عشر طرأ تطور كبير على البحرية الجزائرية مما أدى إلى رفع قوتها النارية حيث أصبحت الشبيكات تصل أسلحتها إلى الأربع والعشرين مدفعا

1- جون، (ب) وولف، المرجع السابق، ص 185.

2-A.Devoulx, « La marine... », RA (1872)...., op.cit, PP.35-45

3- الشريف، الزهار، المصدر السابق، ص ص 24-25.

4- ناصر الدين، سعيدوني، المرجع السابق، ص 65.

5- جون. ب، وولف، المرجع السابق، ص 185.

6- راجع الجداول الخاصة بالسفن وأعداد مدافعها في الباب الثاني، مبحث مدفعية السفن.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي
والغليوطات إلى العشرين مدفعا، وفي سنة 1657م، كان الأسطول الجزائري يملك سفنا تتراوح
أسلحتها ما بين الثلاثين والخمسين مدفعا¹.

إن قوائم القناصل الفرنسيين تخبرنا عن الحملة الفعلية للسفن الحربية الجزائرية خلال الفترة
الممتدة من 1737م إلى 1830م، حيث تقدم لنا معلومات ثمينة حول حجم السفن كانت عند
الانطلاق تحمل على الأقل ستة عشر مدفعا، وخلال منتصف القرن الثامن عشر وأثناء الحروب
الأوروبية (1792-1815م)، حصلت الجزائر على سفن قليلة، حملتها من خمسين إلى ستين
مدفعا. ومن الواضح أن سفينة (الذانريك) ذات الثماني والخمسين مدفعا، كانت إما وقع
الاستيلاء عليها، وإما جاءت كهدية. ولكن سفينة (الغزال) ذات الخمسين مدفعا وكذلك
سفينة (القصر) ذات الخمسين مدفعا هي أيضا صنعت في الجزائر، والغريب أن هذه السفن قد
تقاعدت بعد سنوات من الخدمة، بينما بقيت الشبيكات ذات الستة عشر إلى الثلاثين مدفعا في
حالة استعمال. وهناك حقيقة أخرى تظهر من هذه التقارير القنصلية، وهي أن السفن الصغيرة
والمدفوعة بالمجاديف قد بقيت في الاستعمال حتى نهاية القرن الثامن عشر².

وإذا كان تسليح السفن ضعيفا نسبيا، فإن عدد البحارة الذين كانوا عليها دائما كبيرا. وقد
جرت العادة أن السفينة ذات عشرين إلى أربعين مدفعا تحمل على متنها من ثلاثمائة إلى أربعمائة
وخمسين رجلا. كما كانت السفن تحمل عادة عددا كافيا من الرجال القادرين على قيادة
سفينة مأسورة والرجوع بها إلى ميناء الجزائر³.

وبالرغم من القيادة المستقلة للأسطول الجزائري فقد كان بإمكان "القبودان باشا" في
اسطامبول (بوصفه القائد العام للأسطول العثماني) أن يستدعيه من الباشا في الجزائر متى رأى

1 - A.Devoulx, « La marine », R.A (1869), op.cit, p.418

2- جون.ب. وولف، المرجع السابق، ص 188.

3- رسالة من القبودان دريا محمد خسرو باشا إلى حسين باشا عام 1244هـ/1827م، من أجل إرسال سفن
الجزائر إلى البحر الأسود لمساعدة الباب العالي في الحرب ضد روسيا. للمزيد راجع: مراسلات دايات الجزائر،
مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس، رقم 37، ورقة 58-60.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي
حاجة الباب العالي إليه، ويفقد الأسطول قيادته المستقلة عندما يصل إلى اسطامبول ويصبح
قسما من الأسطول العثماني، ولا يحق عندئذ للقبودان الجزائري أن يتصرف إلا وفق ما يتلقاه
من أوامر القبودان باشا¹. ونستشف خلفيات هذه الأحداث من خلال متابعة حرب اليونان
التي اندلعت عام 1820م وشاركت فيها البحرية الجزائرية كما سبق ذكرها.

لقد أرسل القبودان الجزائري مصطفى رايس برسالة إلى السلطان محمود الثاني، شرح له فيها
وضع السفن الجزائرية، فاعتبر السلطان تلك الطريقة في التعامل معه من فيه باعتبار أن الأسطول
الجزائري جزءا من الأسطول العثماني، وجاء الخط الهمايوني² معبرا عن ذلك بالقول: "أنه كان
من الأنسب أن تحول رسالة القبودان الجزائري إلى القبودان دريا محمد خسرو..."³.

ولم تقتصر استعانة الباب العالي بالجزائر على استدعاء سفنها لمساعدة الأسطول العثماني في
حروبه البحرية، فقد اعتمد السلطان عليها أيضا كمدرسة بحرية ظلت طوال ثلاثة قرون تزود
الدولة العثمانية بأفضل بحارتها وأكبر قادة أسطولها. وكان أبرزهم في أوائل القرن التاسع عشر
علي باشا الذي عاش جنديا في الجزائر ثم توجه إلى اسطامبول حيث عمل وكيلا للإيالة لدى
الباب العالي، ونظرا للشهرة التي نالها في العاصمة العثمانية كرجل عسكري استدعاه السلطان
سليم الثالث عام 1807م لقيادة الأسطول العثماني خاصة بعد نشوب الأزمة العثمانية -
الإنجليزية.

ومن المعروف أيضا أن طاهر باشا الذي عمل جنديا في أوجاق الجزائر، قد التحق بالبحرية
وعمل في فرقة المدفعية، وبالنظر للخبرة العسكرية التي اكتسبها في الجزائر ثم في اسطامبول
ومعرفته للغات الأجنبية فسحت له المجال بولوج باب الشهرة بين رجال البحر العثمانيين وفتح

1- كانت اتصالات الباب العالي بالجزائر تتم بإرسال الرسائل التي يطلق عليها اسم "فرمان" وذلك على غرار
الولايات العثمانية الأخرى.

2- خط همايون، عدد: 46324 تاريخ 1240هـ.

3- خليفة، حماش، العلاقات ... المرجع السابق، ص 145-146.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي
له أبواب تولي المناصب العليا في الأسطول العثماني خصوصا خلال حرب اليونان، ففي عام 1248هـ/1832م رقي إلى منصب قبودان دريا إلى غاية سنة 1252هـ/1836م¹.

يذكر المؤرخ الأمريكي جون وولف (J.Wolf) بأن البحرية الجزائرية كانت عبارة عن "مشروع خاص" في معظم الفترة العثمانية. ذلك أن السفن كانت مملوكة من قبل الرياس أو الأغنياء الذين يمكن اعتبارهم منظمة من ملاكي السفن، وكان للداي والآغا ورجال الديوان وسائل معينة للسيطرة على البحرية، وتتمثل في تنظيم مشاركتهم في الفوائد، ومنح الرخص للإبحار، ومحاولة إجبار الرياس على احترام المعاهدات. وقد تغير هذا النوع من التملك خلال القرن الثامن عشر، إذ أصبحت الحكومة أكثر استقرارا وتدرجيا أصبح الداي يتحكم في معظم سفن البحارة. ومع نهاية القرن الثامن عشر أصبح الأسطول مملوكا للدايليك (الداي ووزرائه) وأضحى الرياس تحت سيطرة وزير البحرية².

هناك أسباب كثيرة لهذا التحول وأكثرها أهمية هو تدهور الأرباح في الحملات البحرية. فقد تمركز الإنجليز في البحر الأبيض المتوسط من خلال قاعدتهم بجبل طارق، والفرنسيون تحصنوا في قواعدهم بطولون ومرسيليا، بينما اشترى الهولنديون وبعض الدول الأوروبية حصاتهم من الهجوم بدفع إتاوة في شكل نقود أو معدات حربية، وعامل آخر هو تدهور نوعية الرجال الذين يحسنون القيادة. ومن الطبيعي أنه أمام هذا الوضع فإن رأس المال الخاص لم يجد الاستثمار في الحملات البحرية عملية مربحة.

وتشير وثيقة مؤرخة في سنة 1732م إلى تفاصيل دفاعات سواحل وهران، وأرزويو، والجهات الغربية منها من خلال سفن من نوع الغاليوطات والجدول التالي يوضح ذلك³.

اسم السفينة	عدد المدافع	عدد بحارتها	اسم السفينة	عدد المدافع	عدد بحارتها
سفينة البايليك	78	1.100	سليمان	40	382

1- جون.ب. وولف، المرجع السابق، ص 191.

2- Moulay, Belhamissi, op.cit, T2, P.295

3 -Tubert-Dehaf, « noms de navires Algériens au XVIe siècle », in, Revue internationale d'onomastique, N°3, 1970, PP.213-219.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي

السويدية	58	660	قارة مصطفى	38	318
سفينة قديمة للبابليك	48	548	قاليسا	36	278
سفينة خاصة	44	436	المالقة	36	268
بنسبار	40	405	الشمسية	36	268
القارب الأسود	40	382	الكريف	20	165
سبع غلوطات	/	420			
المجموع	512 مدفا	6.230 بحار			

ومما يلاحظ أن الأوروبيين كانوا يسمون السفن الجزائرية من خلال الرسومات المتواجدة في خلفية المراكب، كالأسد الأبيض، والزهرة الذهبية، والغزالة الكبيرة، والهلل والبرتقالة الذهبية، التين ذو سبعة رؤوس والحصان الأبيض¹.

وبخصوص مشروع البحرية الجزائرية إذا كانت قرصنة أم خاصة؟ يمكننا أن نستشف المعلومات من خلال المصادر المعاصرة، فلوجي دي طاسي يخبرنا بأن الداوي بابا علي شاولي (1710-1718 م) كانت له سفينة خاصة يقودها قبودان باشا وفي سنة 1722م، احتجز الداوي محمد بن حسن (1718-1724 م) سفينة هولندية وأطلق عليها اسم الديليكية لتصبح فيما بعد تابعة للدولة². وبالاتماد على المصادر الأوروبية المعاصرة يمكننا رصد عدد السفن الحربية للأسطول الجزائري خلال سنوات مختلفة:

سنة	عدد السفن	سنة	عدد السفن
1724	25 سفينة	1815	30 سفينة
1734	14 سفينة	1822	12 سفينة
1760	60 سفينة	1825	14 سفينة
1799	12 سفينة	1830	15 سفينة ³

1 -Laugier de Tassy, op.cit, P.261

2 -A. Devoulx, « La marine »..., op.cit, PP.35-45

3- Ibid, PP.35-45.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي

وقد اهتم الداوي محمد بن عثمان بتنظيم الأسطول الحربي، ففي عهده كان الشباك رمزا للبحرية الجزائرية ورأس حربتها باعتبارها سفينة خفيفة وسريعة في عرض البحر وبكثرة مجادفها وأشروعاتها. كما أنها مجهزة من 12 إلى 30 مدفعا¹. ومع نهاية القرن الثامن عشر فضل البحارة نوع الشطية إذ يأمر من الداوي محمد بن عثمان ثم صنع ستة شطيات وفرقاطة². وكانت سفينة الشطية طويلة وسريعة ومكيفة للإبحار قرب السواحل.

وبفضل قوتها الحربية في البحار، اتخذها صالح باشا في حملته سنة 1774م ضد روسيا³. ويسمى دوفو الشطية بالباركة⁴، في حين يصف بارادي السفن الجزائرية بقوله: "إن البحارة الجزائريين لهم أشربة عريضة، (يقصد الشباك والشطية) فهم يفضلون السفن الخفيفة والسريعة ذات الأشربة الجيدة"⁵.

ومن المعروف أن الأسطول الجزائري في سنة 1805 كان يتكون من القطع التالية:

نوع السفينة	عدد مدافعها	عدد مدافعها
الفرقاطة	2	44-46 مدفعا
كروقات	1	34 مدفعا
شباك	6	18 مدفعا
غليوطة	2	16 مدفعا
غالية	1	3 مدفعا
غليوطة	2	3 مدفعا
شالوب (زورق)	149	مدفعا

1 -Moulay, Belhamissi, Histoire de la marine Algérienne 1516-1830, Alger, édition enal, 1983, P.60

2- الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 25.

3- المصدر نفسه، ص 29.

4 -A. Devoulx, « La marine »..., op.cit, PP.408-409

5 -V. de Paradis, Tunis et Alger..., op.cit, P.144.

394 مدفعا¹ 66 سفينة مسلحة المجموع

لقد ساهمت الغنائم البحرية في التصاعد المستمر لعدد لا بأس به من قطع الأسطول البحري الجزائري، والذي أصبحت تتكون ترسانته يقدر في سنة 1724 من السفن اللآتية²:

عدد مدافعها	عدد السفن	العناصر
52 مدفعا	1	السفن المصنوعة في الجزائر
50 مدفعا	1	
44 مدفعا	3	
40 مدفعا	1	
38 مدفعا	2	
32 مدفعا	4	
26 مدفعا	1	السفن المصنوعة في هولندا
26 مدفعا	1	
22 مدفعا	1	
16 مدفعا	1	
14 مدفعا	1	
22 مدفعا	1	السفن المصنوعة في إنجلترا
16 مدفعا	1	
12 مدفعا	1	
26 مدفعا	1	السفن المصنوعة في إيطاليا
10 مدفعا	1	
14 مدفعا	1	
14 مدفعا	1	السفن المصنوعة في إسبانيا
10 مدافع	1	السفن المصنوعة في البرتغال

1 -Daniel, Panzac, « un défi interrompu les flotes de commerce du Maghrib au début du XIX siècle » in A.H.O.S,N°25, Pub, Tunis, Aout-2002 , P.69

2 -Laugier de Tassy, op.cit, PP.264-265

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي

إن مظاهر قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني كانت تضمن للدولة مداخيل معتبرة كانت تأتي من ثلاث مصادر أساسية: حمولات السفن بالغنائم التي تؤخذ من البحر، ومبالغ افتداء الأسرى، والآتاوات التي تدفعها الدول الأوروبية تحت تدابير اتفاقيات شكلية لحماية سفنها من استيلاء القراصنة، وهناك مصدر رابع كان يحصل عليه من المؤسسة البحرية بذاقتها وذلك من خلال الإذن بالإرساء.

1* الأسرى المسيحيون: لقد كان بيع وتوزيع الأسرى يشكل القسم الأكبر من مدخول الجزائر، فالمصادر الأوروبية تشير إليهم بأنهم كانوا عبيدا أو أرقاء في كامل الأراضي العثمانية، بينما تعتبرهم الجزائر أسرى حرب. إن الأسرى الذين لا يختارهم الداى للعمل كحراس أو خدم ولا يشتريهم الباعة يصبحون ملكا للدولة، فيستعملون للخدمة في الحجارة عبر طرق الإيالة، وفي ضيعات الدولة، أو في دار الصناعة بالجزائر وورشنة بناء السفن. وقد كان فترة القمة في الحصول على الأسرى في بداية القرن السادس عشر¹.

لقد كان الواجب الأساسي للقناصل الأوروبيين هو الافتداء المباشر للأسرى أو التدخل لدى السلطات الجزائرية نيابة عن المقبوض عليهم من أبناء وطنهم. ويتم اعتماد وسطاء أوروبيين من الدبلوماسيين، غالبا ما يكونون من الفرنسيين أو من رجال الدين الإسبان المسموح لهم بالقيام بأعباء المستشفى التابع لبلادهم بمدينة الجزائر، وهي المؤسسة الوحيدة ذات الطابع الاجتماعي والإسباني المهتمة بشؤون الأسرى الإسبان. وقد كان القنصل الفرنسي بالجزائر، هو الحامي "غير الرسمي" هؤلاء القساوسة المختصين في عمليات الفداء².

و كانت هناك ثلاثة مجموعات مسيحية متخصصة في عمليات الافتداء وهي: جماعة الثالث المقدس (Les trinitaires)³، التي كانت تشرف على أهم عمليات الفداء بالجزائر، ففي سنة

1- وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 131.

2- جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 217.

3- جماعة التنظيم التلثي تأسست عام 1148م، وتنظيم الرحمة تأسس عام 1232م، الأول تنظيما فرنسيا، والثاني إيطاليا.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي
1789م كان لها حوالي مائتين وخمسين فرعا منتشرة في البرتغال وإسبانيا وإيطاليا، ومجموعة
المرسدنير (Mercedairs) وجماعة آباء الرحمة (الفرنسيسكان)¹.

لقد أدت العلاقات السيئة في عدة مناسبات بين القناصل الأوروبيين والدايات إلى اشتداد
الوطأة على الأسرى، ففي عهد الداوي إبراهيم (1732-1745م) أمر بوضع السلاسل على جميع
المقبوض عليهم ويبحث بهم إلى العمل الشاق حتى حصول الموافقة على مبلغ أعلى للافتداء².

لا بد من إثارة مشكل هام يخص تعداد الأسرى، هذا المشكل شأنه شأن إحصاء عدد سكان
مدينة الجزائر التي كانت من أهم أسواق الفداء في البلاد الإسلامية. فالتقديرات الرقمية
المطروحة سواء بخصوص عدد سكان المدينة أو بخصوص عدد الأسرى مستخرجة من مصادر
أوروبية، ومتناقضة في بعض الأحيان، ولا يوجد في الأرشيف المحلي ما يؤكد أو ينفي تلك
الأرقام. ففي سنة 1578م بلغ عدد الأسرى من الفرنسيين والإيطاليين والإسبان والمالطيين قرابة
25000 أسير، وفي سنة 16535 ارتفع هذا العدد إلى 30000، كما ارتفع إلى 36000 سنة 1691م،
لكن مع بداية القرن الثامن عشر يلاحظ تراجع لأعداد الأسرى ضمن 10000 سنة 1700 إلى
2000 سنة 1738م، ليرتفع العدد إلى 7000 نسمة سنة 1750، ثم ليتراجع بعد ذلك بين زيادة
ضئيلة ونقصان حتى سنة 1830م، حيث تتناقض التقديرات بين 500 و122 أسير³.

والأرقام التي بين أيدينا تبين لنا تنوع جنسيات الأسرى بمدينة الجزائر خلال فترات مختلفة.
والجدول التالي يبين إحصاء الأسرى ما بين سنتي 1799-1800م⁴.

الجنويون	95	النمسا	47
----------	----	--------	----

1- جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 215-216.

2- وليم، سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر: " تعريب وتعليق: عبد القادر زبادية "، الجزائر 1980، ص

3 -Eugène.Plantet, les consuls de France à Alger avant la conquête, 1579-1830, Paris, Hachette, 1930, P.44.

4 -Berbrugger, « La régence d'Alger sous le consulat et l'empire », in R.A (N°19), 1875, P.30.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي

النمساويون	41	نابولي	365
الفرنسيون	64	البرتغال	366
الإسبانيون	193	جنوة	89
البرتغاليون	95	إسبانيا	33
سردينيون	4	صقلية	8
رومانيون	4	كورسيكا	16
اليونانيون	377	اليونان	8
كورسيكيون	25	رومانيا	8
مالطيون	77	بروسيون	72
		المجموع	750

وفيفيدنا دفتر التشريفات بأعداد الأسرى ما بين 1802-1803م¹:

النمسا	47	صقلية	8
نابولي	365	كورسيكا	16
البرتغال	366	اليونان	8
جنوة	89	رومانيا	8
إسبانيا	33	المجموع	910

و قد سبق لفيفديريكو كريستي أن عبر عن ضرورة أخذ الحيلة حين تناول تقديرات عدد الأرقاء، لأن المشكل ليس في التقديرات فحسب ولكن في عدم التدقيق وفي تأكيد المجال، هل هو مدينة الجزائر أو ريفها أو إيالة الجزائر بكاملها؟². بالنسبة لآخر العهد العثماني حدد العدد في 1642م أسيرا، وهم الأرقاء الذين فكهم اللورد إكسموث بعد قذفه الجزائر بوابل من القنابل سنة 1816م وبغض النظر عن حياة الأرقاء في الجزائر، فإن غالبيتهم كانوا يرزخون تحت ثقل العديد من الممارسات، الأمر الذي أدى إلى انتفاضتهم في كثير من المرات، خاصة في الفترات

1 - Tachrifat, op.cit, P.87.

2 - Federico, Cresti, «Alger à la période Turque : observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale ». In R.O.O.M , N° 44, 1987, PP.132-133.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي
التي تغيب فيها غالبية قوات الجيش خارج المدينة، كما هو الشأن خلال سنوات 1559 و1662 و1750 و1763م¹.

أما بخصوص الظروف الصعبة وأوضاع البؤس التي كان يعيش فيها الأرقاء المسيحيون، فالمصادر الأوروبية -خاصة تقارير الرحالة والربان- بالغت كثيرا في تصويرها، إما لتأجيج نار القرصنة المضادة أو للدعاية من أجل جمع الأموال اللازمة لعمليات الفداء.

وبخصوص التقارير الأوروبية التي صورت أحوال الأسرى الأوروبيين بالجزائر فهي كثيرة لكن يغلب على مضامينها المبالغة، وهي بذلك تحتاج لحذر شديد في التعامل معها وفي مقابل ذلك فإن معلوماتنا عن ظروف أسرى الجزائريين في البلدان الأوروبية قليلة².

2* الغنائم البحرية: تكاثرت في الفترة الأولى للعهد العثماني ثم أخذت في التناقص حتى كادت تتلاشى في القرن الثامن عشر، ثم عرفت مع نهاية العهد العثماني نموا ملحوظا مع محاولة تطوير البحرية وزيادة نشاطها الحربي خاصة في فترة انشغال أوروبا بحروب الثورة الفرنسية وفتوحات نابليون. وقد ارتبط تجدد نشاط البحرية الجزائرية بجهود بحارة مشهورين في مقدمتهم الرايس حميدو (1790 - 1815م)³.

إن المداخليل الأساسية لغنائم الجهاد البحري كانت تتحول للدولة التي تأخذ الخمس (البنحق) ويوزع الباقي (الفيء) على أصحاب السفن المساهمين في تجهيز السفن. وكانت تأتي من ثلاث مصادر أساسية: حمولات السفن بالغنائم التي تؤخذ من البحر، ومبالغ افتداء

1- حون (ب) وولف المرجع السابق، ص 223.

2- بخصوص الاسترشاد ببحث هذا الموضوع راجع:

Bono, Salvatori, « esclaves musulmans en Italie », in, Actes du colloque international, sur « la méditerranée au XVIIIe siècle », Aix-en-Provence, 1985, Pub de l'université de Provence, 1987, PP.189-207.

3- ولد الرايس حميدو وابن علي حدور سنة 1770م بمدينة الجزائر، في سنة 1790م أوكل الداوي حسن للرايس حميدو مهمة الإشراف على سفينة المجهزة بـ 12 مدفعا. ومنذ 1797م أصبح أهم شخصية بحرية في الأسطول الجزائري.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي
الأسرى، والجزيات (الهدايا والآتاوات) التي تدفعها مختلف الدول الأوروبية تحت تدابير ثنائيات
شكلية لحماية سفنها. وهناك مصدر رابع كان يحصل عليه من المؤسسة البحرية بذاتها، وذلك
من خلال الإذن بالإرساء، ورسوم إعادة ترميم وتصليح السفن وورشات بناء السفن.
وكانت غنائم الجهاد البحري موردا للرزق ومصدرا مهما للثروة وعاملا حاسما في تنشيط
الاقتصاد الجزائري. فقد كانت مهنة مربحة في نظر كثير من المؤرخين المحدثين تنال الدولة من
غنائمها حصة تتراوح بين السبع والعشر¹، وتغطي بـ 12 بالمائة من أسعار السفن المحتجزة²،
وتتضع تحت تصرفها كل الأسلحة المصادرة في عمليات القرصنة باعتبارها غنائم حرب
مشروعة، كما أنها تنال قسطا وافرا من المبالغ التي تدفع لافتداء الأسرى الأوروبيين. وفي هذا
السياق فإن إسبانيا وحدها كانت تدفع سنويا ما قيمته 60 ألف قرش لافتداء أسراها البالغ
عددهم ما بين 200 و300 أسير³.

ومن أشهر غزوات الرايس حميدو البحرية، استيلاؤه على السفينة البرتغالية (Le cygne)⁴ في
8 ماي 1802م، مما وفر للجزائر أرباحا بلغت 166246 ريالا أي 19423125 فرنكا⁵.
والجدول التالي يوضح لنا سجل الغنائم ما بين 1793-1815م⁶.

1 - Dan, op.cit, P.83.

2 - Tachrifat, op.cit, P.48

3 - Tubert Defof (G), « un état présent du rayaume d'Alger en 1684 », in, R.H.C.M,
N°6-7, 1969, P.24.

4- كانت السفينة البرتغالية مجهزة بـ 44 مدفعا وتم القبض على 282 أسير برتغالي.

5 - A.Devloux, « un exploit des Algériens en 1802 », in, R.A, (N°9) 1865, PP.126-127.

6 - A.Devoulx, « les registres des prises maritimes », in, R.A, (N°16) 1872, PP.70-77.

التاريخ	عدد الغنائم	مجموع الغنائم بالفرنكات
1207هـ/1793م	15 غنيمة	1.352.315.45
1207هـ/1794م	3 غنائم	1.204.366.36
1209هـ/1795م	8 غنائم	310.398.47
1210هـ/1796م	8 غنائم	202.811.61
1211هـ/1797م	22 غنيمة	1.294.269.72
1213هـ/1798م	42 غنيمة	1.510.528.69
1214هـ/1799م	31 غنيمة	1.583.482.47
1214هـ/1800م	19 غنيمة	523.523.574.10
1215هـ/1801م	4 غنائم	340.318
1217هـ/1802م	20 غنيمة	575.152.74
1218هـ/1803م	/	43.187.62
1219هـ/1804م	9 غنائم	272.850.11
1220هـ/1805م	8 غنائم	190.433.24
1221هـ/1806م	3 غنائم	283.439.36
1222هـ/1807م	10 غنائم	357.294.36
1223هـ/1808م	10 غنائم	297.105.81
1224هـ/1809م	7 غنائم	114.496.86
1225هـ/1810م	/	171.347.62
1226هـ/1811م	4 غنائم	513.137.23
1227هـ/1812م	12 غنيمة	120.136.675.36
1228هـ/1813م	3 غنائم	1720.329.74
1229هـ/1814م	17 غنيمة	19.57.132.86
1230هـ/1815م	8 غنائم	770.415.74

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي

والملاحظ أن الغنائم استمرت إلى غاية 1827م حيث تناهز 700000 فرنك ما بين 1817-1827م¹. ومن الواضح أيضا أن الغنائم عملت على تغطية العجز المالي للإيالة ما بين سنوات لكن حملة اللورد اكسموت سنة 1816م قد وضعت حدا لهذا الانتعاش².

والملاحظ أن الجزائر أعدت حوالي 1008 سفينة للجهاد البحري ما بين 1737م و1799م، أي بمعدل سفينة في السنة، وبلغ مجموع الغنائم من 1765م و1799م، حوالي 376 غنيمة بمعدل 11 في السنة³. وفي سنة 1802م تم تسجيل 20 غنيمة بمقدار مالي 575152,75 فرنكا وفي سنة 1814م حوالي 17 غنيمة بمقدار 1954132,86 فرنكا⁴.

و إذا كانت الغنائم وأسلاب الحملات الداخلية وغنائم الحروب الخارجية سببا رئيسيا في إثراء الخزينة فإننا لا نطمئن إلى كتابات بعض الأوروبيين، أمثال الكاتب بيرو (Perrot)⁵، بل تدخل في اعتبارنا مجموع مصادر الدخل المتنوعة وعلى رأسها الضرائب والرسوم الداخلية. وما نستشفه من روايات الكتاب الأوروبيين هو أخذ فكرة عامة عن فخامة الثروات المجمعة في الخزينة، والتي دفعت حكام الجزائر وعلى رأسهم الداوي وموظفو الديوان إلى سن قوانين خاصة واتخاذ إجراءات احتياطية كفيفة بضمان سلامة الخزينة وحفظ أموالها، ونستطيع أن نذكر من هذه الإجراءات مثلا مرابطة ستة عشر نوبتجيا لحراستها⁶. وذهبت بعض الروايات الأوروبية

1 - A.Devoulx, « les registres ... » op.cit, P.73

2 - Tachrifat, op. cit, P.86

3 - P.Des feuilles, « Scandinaves et Barbaresques à la fin de l'ancien régime », in C.T, N°15, 1956, P.330

4 - A.Devoulx, « un exploit ... » op.cit, P.127

5 - A.M.Perrot, Alger esquisse Topographique et historique du royaume et de la ville d'Alger, Paris, 1830, P.50

6- لأخذ فكرة عن مصادر الدخل للجزائر العثمانية يرجى العودة إلى: ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي... المرجع السابق، ص 85-126.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي
إلى حد القول بأن الغنائم هي الأساس في تكوين الخزينة الجزائرية كما هو الشأن عند السيد غوراي (Guerey)، صاحب المؤلف المتعلق بالخزينة الجزائرية في سنة 1791م¹.

3 * الأتاوات والهدايا الإلزامية: فرضت الدولة الجزائرية على الأمم الأوروبية المتعاملة معها تجاريا آتاوات، مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وإعطاء تجار تلك الدول امتيازات خاصة، منها تخفيضات على الرسوم الجمركية، وهذا ما ينفي صفة اللصوصية القرصنية أو الاعتداء على حرية التجارة العالمية عن البحرية الجزائرية، والتي حاول الكتاب الأوروبيون إلصاقها بالبحارة الجزائريين، لتبرير تحرشاتهم والتمهيد لاعتداءاتهم.

تزخر مراسلات القناصل² وكتب الرحالة الأوروبيين³ وسجلات الدولة الجزائرية⁴ بقوائم طويلة للأتاوات والهدايا القنصلية ومما يلاحظ أن هذه الأتاوات والهدايا لن تعد في الفترة الأخيرة من حياة الإيالة الجزائرية التزامات مالية تساهم بدخل محترم للخزينة، بل أصبحت مجرد هدايا دبلوماسية وترضيات مالية تقدم مقابل حرية الملاحة ولنيل الاحتكارات والامتيازات التجارية⁵. ومما يلاحظ أن هذه الإتاوات كانت تختلف حسب العلاقة التي تربط تلك الدول بالجزائر، كما كان للظروف السائدة في تلك الفترة، تأثير على تحديد مبالغ تلك الإتاوات. وهي:

1- إسبانيا: كانت تساهم بما قيمته 96.800 فرنك كإتاوة سنوية ومن أجل حماية مصالحها بالجزائر وإقرار السلم معها، لجأت إلى إرسال 2000 قنطارا من البارود وذلك بتاريخ 7 شعبان

1 - Henri. Klein, Feuillet d'El Djazaïr, collection des cahiers du comité de la ville d'Alger, Alger, Fantana, L.chair, 1937, P90.

2 - E.Plantet, les consuls de France à Alger avant la conquête 1579-1830, Paris, hachette, 1930.

3- مثال شاو-فانتور دو بارادي-دي بوتانفيل - شالير..

4- مجموعة الوثائق العثمانية.

5 - M.Emerit, « voyage de la condamine à Alger 1731 » In R.A, N°98, 1954, P.378

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي

1999 م/1785م¹. وفي سنة 1804م ألزمت بإرسال 9 مدافع من عيار 24 و18 مدفعا من عيار

18 وفي سنة 1826م أكدت مع معاهدة السلم المبرمة مع الجزائر فالزمت بدفع 150000 فرنكا².

2- توسكانيا: ألزمت قبل 1823 بدفع ما قيمته 250000 فرنك، كل سنتين مقابل إرسال هدايا معتبرة³.

3- البرتغال: كانت ملزمة على دفع 20000 فرنك، إثر معاهدة 1822م.

4- سردينيا: أرغمت على دفع 216000 فرنك، إثر معاهدة 1746. وكانت الأتاوة السنوية تقدر بـ 54000 حتى سنة 1816م⁴.

5- فرنسا: كانت تدفع قبل سنة 1790 ما قيمته 37000 جنيه. وفي سنة 1816م ألزمت بدفع ما قيمته 200000 فرنك. وفي شهر جوان 1790م كانت فرنسا تدفع اللزمة التي حددت بستة وخمسين ألف وسبعمائة فرنك، تدفع على ستة أقساط⁵. وفي سنة 1791م قدم القنصل الفرنسي فالير هدايا للداي والخزناجي والآغا بمناسبة تعيينهم في وظائفهم الجديدة، وقدرت بمبلغ 2000 ريال بوجو⁶، كما قدم القنصل تانفيل إثر وصوله مدينة الجزائر يوم 27 أبريل 1821م، هدايا معتبرة وزعت على حوالي مائة وستين شخصا، والتي كلفت الخزينة الفرنسية ما يزيد عن مائتي ألف فرنك⁷.

1- مج 3190، الملف الأول، ورقة 436.

2 -MGR, Pavy, « La piraterie Barbaresque », in, R.A (N°2), 1857, 1858, P.351.

3 -Pavy, op.cit, P.348.

4 -ibid, P.351

5- جمال، قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، الجزائر، 1982، ص 173.

6- جمال، قنان، العلاقات التونسية الجزائرية 1790-1830، الجزائر، منشورات متحف المجاهد، 1999، ص34، هامش 50.

7- المرجع نفسه، ص 213.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي

6- إنكلترا: تعهدت في سنة 1807م بدفع 267500 فرنك، مقابل حصولها بعض الامتيازات، بالإضافة إلى تزويد الجزائر بالمدافع والذخيرة الحربية. وكانت تدفع للجزائر حتى حدود سنة 1816م ما يقارب 350000 فرنك¹.

وعادة ما كانت إنجلترا تبعث بالهدايا، وهذا ما حصل في عهد حسن باشا في سنة 1797م، حيث أرسلت بالذخيرة التالية: "أربعة مدافع مختلفة العيارات، عتاد حربي مكون من الأشرعة والخشب، ومائتين برميل بارود وأربعمئة كرة مدفعية بالإضافة إلى خمسة وعشرون صندوقا يحمل البنادق"².

7- هولندا: تدعمت العلاقات بين الجزائر وهولندا بتاريخ 12 مارس 1711م، حينما أرسلت المفاوض اليهودي كوهين (Cohen) من ليفورنة لإعطاء نفس جديد للعلاقات بين البلدين وبالمناسبة زودت هولندا الجزائر بما يلي: 8 مدافع نحاسية، و16 مدفعا حديديا، و800 بندقية، وكميات من البارود ومعدات حربية وفي سنة 1757م تم التوقيع على معاهدة يتم بموجبها دفع الأتاوة للجزائر، ودفع اللزمة المقدرة بـ 125000 فرنك³. وتشير وثيقة عثمانية بأن هولندا دفعت للجزائر في 13 شعبان 1211هـ/1797م. معدات مهمة تتكون من الحبال والأشرعة و300 قطعة خشبية والبارود ومعدات لصناعة السفن⁴.

وخلال القرن الثامن عشر، وتدعيما للعلاقات بين الجزائر وهولندا زودت الجزائر بـ ألف قنطار بارود، وألف بندقية، وألف مسدس، وألف سيف، وحبال وفي سنة 1807م دفعت 160000 فرنك⁵.

1 - Pavy, op.cit, P.350.

2 - Tachrifat, op.cit, P.42.

3 - Moulay, Belhamissi, op.cit, T1, PP.93-94.

4- مج 3190، الملف الأول، ورقة 438.

5 - M.Belhamissi, op.cit, T1, PP.23-94

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي

8- الولايات المتحدة الأمريكية: في سنة 1783م كانت جمهورية الولايات المتحدة تدفع للجزائر مائة ألف دولار سنوياً¹، وفي أواخر سنة 1794م وافق الداوي حسن على أن تقدم الولايات المتحدة الضريبة السنوية في شكل عتاد وأجهزة بحرية، وأن تقدم الهدايا مرة في سنتين والمقدرة بنحو 279.500 دولار، وفي شهر سبتمبر 1795م وافق الداوي الدخول في مفاوضات مع الولايات المتحدة، حيث تم التوقيع على معاهدة السلم مع المبعوث الأمريكي جوزيف دونالدسون، وبموجب هذا الاتفاق التزمت الولايات المتحدة دفع مبلغ 642.500 دولار للجزائر نقداً، بالإضافة إلى ضريبة سنوية قدرها 21600 دولار تدفع على شكل عتاد حربي وأجهزة بحرية².

تمكنت الجزائر من مساعدة الولايات المتحدة على عقد معاهدات سلم مع طرابلس وتونس، وكلفتها المعاهدة مع الجزائر ما يقرب عن مليون دولار في سنة 1797م³. ورصدت لنا وثيقة بتاريخ شوال 1210هـ/1796م، قائمة بالمعدات التي قدمتها الولايات المتحدة للجزائر تتكون من 1000 قنطار من البارود، و1000 قطعة خشبية لتجهيز السفن وبمجموعة من كرات حديدية مدفعية⁴.

ونقرأ في وثيقة أخرى بتاريخ 17 جمادى الأولى 1215هـ/1801م، أن سفينة أمريكية زودت بالعتاد التالي: 12 قنطار من البارود، 28 قنطار مسمار، 29 قطعة خشبية للتبطين، و130 قطعة خشبية من نوع الروبلو، و2615 من الحجم الصغير⁵.

1- إروين، راي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776-1818، ترجمة اسماعيل العربي، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1978، ص33.

2- المرجع نفسه، ص 261

3- المرجع نفسه، ص 118.

4- مج 3190، الملف الأول، ورقة 444.

5- مج 3190، الملف الثاني، ورقة 5.

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي

9- الدغمارك: تشير وثيقة بتاريخ 1209 و1210هـ/1795م، 1796م، بدفع الدغمارك للجزائر قائمة من الذخيرة والمعدات الحربية تتكون من 425 قنطار من البارود، و1000 كرة مدفعية، و41 قنطار من الحديد و8 قنطار من الأسلاك، و2000 قطعة خشبية من الحجم الصغير. والمبال ومعدات للسفن¹. وفي سنة 1822م دفعت الدغمارك إتاوة 180000 فرنك كل سنتين².

10- السويد: رصدنا في إحدى الوثائق بتاريخ 1216هـ/1802م قائمة بالمعدات التي قدمتها السويد للجزائر منها: 23 قنطار من البارود، وكميات حديدية، و230 قطعة خشبية من نوع الروبلو، و2398 قطعة خشبية لصنع اليراميل، وكميات من المسامير وتجهيزات لصنع السفن³. كما التزمت بدفع إتاوة 120000 فرنك كل سنتين بتاريخ 1822م⁴.

11- البندقية: في سنة 1763 قدرت الإتاوة المفروضة عليها بـ 5000 ريال. وفي سنة 1802م وافق البندقيون على أن يدفعوا للجزائر 50 ألف دوكة و5 آلاف دوكة كل سنة، وذلك في مقابل حصولهم على امتياز يسمح لهم بتسيير خمس عشرة سفينة تجارية في البحر الأبيض المتوسط⁵.

ومن الأمثلة الكثيرة حول المبالغ التي كان يدفعها قناصل فرنسا للحكومة الجزائرية خلا مراسيم تنصيبهم في مهامهم الجديدة. ما يوضحه الجدول الآتي⁶:

1742	6400 جنيه	1791	48000 جنيه
1763	13200 جنيه	1805	8000 جنيه
1774	16600 جنيه	1811	160000 جنيه

1- مج 3190، الملف الأول، ورقة 451.

2 -Pavy, op.cit, P.348.

3- مج 3190، الملف الأول، ورقة 441.

4 -Pavy, op.cit, P.348

5- إروين، راي، المرجع السابق، ص 33-34.

6-Blanvin, la condition et la vie des Français dans la régence d'Alger, Alger 1899, P.79

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنفي هلايلي
وقبل سنة 1830 كانت العائدات الاجتماعية لممثلي القنصليات الأوروبية تتوزع حسب
الدول الآتية¹: فرنسا 806660 فرنك، وانجلترا 40000 فرنك، وإسبانيا 150000 فرنك،
والبرتغال 363800 فرنك، وهولندا 160000 فرنك، والولايات المتحدة الأمريكية 200000
فرنك، وتوسكانيا 15120 فرنك، والصقليتين 235400 فرنك، وسردينيا 160000 فرنك،
وهانوف - برين 15120 فرنك، والسويد - الدانمارك 27750 فرنك.

ويذهب المؤرخ الأمريكي وليم سبنسر على أن الضريبة كانت مفتاح العلاقات الجزائرية
الأوروبية، وأن أوروبا كانت ملومة بدفع الجزية لأنها لم تطور سياسة أمن جماعي حقيقي ضد
الجزائر. فكانت الجزية المدفوعة بمثابة حماية فردية، وكانت امتياز للقوى الأوروبية الصغيرة التي
تعتمد في حياتها على التجارة السليمة. وقد طبقت الجزائر في هذا المجال سياستها التقليدية تجاه
أوروبا (فرق وازدهر)².

بعد سقوط نابليون سنة 1815 تبدل الوضع الدولي. مما دفع بكثير من الدول الأوروبية إلى
العمل على محو ما تعتبره اغتصابا وإهانة تلحقها الجزائر بالشرق المسيحي والحق الدولي،
ففضلت الالتجاء إلى حماية الدول القوية³.

كانت إيالة الجزائر تتلقى مساعدات من الباب العالي باستمرار، ففي سنة 1198هـ/1784م،
تلقت الجزائر مساعدات عسكرية مهداة من طرف الدولة العثمانية وتمثل في كميات كبيرة من
النحاس والخشب وأسلاك، ومجاديف، وكميات معتبرة من البارود⁴. وفي عهد الداي مصطفى
باشا، عاد الحاج يوسف وكيل الحرج من اسطامبول وهو محمل بالذخيرة التالية: خمسون مدفعا
من النحاس، أربعين قطعة حديدية وأشرعة، ألف وخمسمائة قنطار من البارود، مائتين قنطار من

1 - Shaw, op.cit, PP.211-212

2- وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 147.

3- توسطت انجلترا للدول سردينيا وهانوفر وبريمن، وتوسطت فرنسا لدولة الكنيسة.

4 - Tachrifat, op cit, PP.40-41

التنظيم العسكري للبحرية ----- د. حنيفي هلايلي
الرصاص، ثلاثون قنطار من التيف، خمسمائة قنطار من الزفت، ألف قنطار من الأسلاك الحديدية
وثلاثة عشر ألف كرة مدفعية¹.

والحقيقة أن استغلال بعض الوثائق العثمانية، تمكننا من العثور على معطيات جديدة
بخصوص قضية المساعدات العسكرية العثمانية للجزائر إذ تفيدنا وثيقة بمعلومات ذات أهمية
كبيرة، منها ما يتعلق بالإمدادات العثمانية المتمثلة في إرسال 500 قنطار بارود، و100 قنطار
كهروجلية وسفينة من نوع قروت². كما نجد نصا آخر يشير إلى صدور أمر سلطاني بتاريخ
1206م/1791م بموجبه تم إرسال الدخائر التالية: مدافع من نوع طوج والهاون، ومعادن
الرصاص والحديد والأسلاك بمقدار ثلاثة آلاف قنطار³. وتطلعنا وثيقة أخرى مؤرخة في أواخر
صفر 1235م/1819م بأمر من السلطان محمود الثاني تعزز إرسال مساعدات عسكرية للجزائر
تتمثل في المدافع والبارود والأسلاك⁴. وبالرغم من أن إيالة الجزائر كانت معروفة في عالم البحر
الأبيض المتوسط بقيامها على نظام حربي دفاعي فعال بواسطة حكومة عسكرية، فإن القوة
الجزائرية إنما كانت تعتمد على المؤسسات المالية. وعليه إن القضية التي كانت محور العلاقات
مع أوروبا هي النشاط البحري للجزائر العثمانية التي أطلقت عليه الأدبيات الغربية لفظ القرصنة
ونعتته باللصوصية وقد نتجت عن هذا النشاط البحري قضايا شائكة عمقت روح العداء مع
العالم الأوروبي خلال العصر الحديث.

1 -A.Berbrugger, op.cit, P.12

2- خط هايون، عدد: 16237، تاريخ 1245م.

3- خط هايون، عدد: 56499، تاريخ 1206م.

4- خط هايون، عدد: 56499، تاريخ 1206م.